Journal Of the Iraqia University (74-6) October (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

تجليات الرمز في رواية طشاري للكاتبة إنعام كجه جي

مرتضى ناظم ضهد الزبيدي

طالب دكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمنشاه، إيران

Manifestations of symbolism in the novel Tashari by Inaam Kachachi.

Mortada Nazim Dahd
PhD student, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Razi University, Kermanshah, Iran
dbkttjucy@gmail.com

الملخص:

يقدم هذا البحث تحليلًا شاملًا لرواية "طشاري" للكاتبة إنعام كجه جي، وهي رواية رمزية غنية تستكشف بعمق موضوعات الشتات، والذاكرة، وفقدان الهوية في سياق عائلة عراقية موزعة بين الوطن والمنافي. يركز هذا البحث على الطرق المتعددة التي تجسد بها الكاتبة ثيمات الحنين، والاغتراب، ومحاولات لمّ الشمل المستحيلة من خلال توظيف مكونات رمزية عميقة، ومن أجل تحليل كيفية مساهمة هذه الرموز في البنية الموضوعية للرواية، يتناول البحث العنوان "طشاري" نفسه كرمز محوري للتبعثر الجغرافي والروحي، والعراق كرمز للجنة المفقودة والماضي الذي لا يمكن استعادته، والمقبرة الإلكترونية التي ترمز إلى الذاكرة الحديثة ومحاولة يائسة لخلق وطن بديل يجمع شتات العائلة. وتوضح رموز إضافية مثل الصور الفوتوغرافية، والرسائل، والأغاني التراثية الصراع الدائم بين الماضي الحاضر بقوة في الذاكرة والحاضر المفكك في المنافي، من خلال تحليل هذه الرموز، تكشف هذه الدراسة كيف تستخدم إنعام كجه جي البيئة المادية، والتكنولوجيا، والتراث الثقافي لاستكشاف المخاوف المركزية للرواية المتعلقة باستحالة العودة وحتمية الفقدان، وفي الوقت نفسه، إمكانية الحفاظ على الروابط الإنسانية عبر ذاكرة متخيلة. ويؤكد التحليل على الأهمية الدائمة للرواية باعتبارها تأملاً عميقاً في التفاعل بين التاريخ، والذاكرة، والهوية في التجربة الإنسانية المعاصرة.الكلمات المفتاحية:انعام كجه جي، الرمز، طشاري، رواية، العراق.

Abstract:

This research presents a comprehensive analysis of Inaam Kachachi's novel "Tashari," a richly symbolic novel that deeply explores themes of diaspora, memory, and lost identity in the context of an Iraqi family torn between homeland and exile. This research focuses on the multiple ways in which the author embodies themes of nostalgia, alienation, and impossible attempts at reunion through the use of deeply symbolic elements. In order to analyze how these symbols contribute to the thematic structure of the novel, the research examines the title "Tashari" itself as a central symbol of geographical and spiritual dispersion; Iraq as a symbol of lost paradise and an irretrievable past; and the electronic graveyard as a symbol of modern memory and a desperate attempt to create an alternative homeland that would bring the family together. Additional symbols such as photographs, letters, and traditional songs illustrate the perpetual conflict between the powerfully present past in memory and the fragmented present of exile. By analyzing these symbols, this study reveals how Inaam Kachachi uses the physical environment, technology, and cultural heritage to explore the novel's central concerns regarding the impossibility of return and the inevitability of loss, while simultaneously exploring the possibility of preserving human connections through an imagined memory. The analysis underscores the novel's enduring significance as a profound meditation on the interplay between history, memory, and identity in contemporary human experience.Keywords :Inaam Kachachi, Symbol, Tashari, Novel, Iraq.

مقدمة:

تُعدّ رواية "طشاري" للكاتبة العراقية إنعام كجه جي، الصادرة عام ٢٠١٣، واحدة من أبرز الأعمال الأدبية التي تناولت بعمق وألم فكرة الشتات العراقي في حقبة ما بعد الغزو الأمريكي. لم تكن الرواية مجرد سردٍ لمصائر شخصياتها، بل كانت بمثابة مرايا متجاورة تعكس صوراً متكسرة لوطنٍ ممزق وأرواحٍ مبعثرة، وهو ما يلخصه العنوان ببراعة لافتة. فكلمة "طشاري"، وهي مفردة من اللهجة العامية العراقية تعني "التشتت العشوائي كطلقات الصيد"، تتجاوز معناها الحرفي لتصبح استعارة كبرى تصف حالة التيه الجغرافي والروحي الذي أصاب العراقيين، حيث أصبح الشتات قدراً محتوماً لا فكاك منه.تستمد الرواية أهميتها من قدرتها على التقاط جوهر التجربة الإنسانية العراقية في المنفى، ليس كحالة سياسية مؤقتة، بل كشرط وجودي دائم. فمن خلال تتبع حكاية الدكتورة وردية إسكندر، الطبيبة المسيحية العراقية التي تمضي سنواتها الأخيرة في باريس، وأبنائها وأحفادها الموزعين بين كندا ودبي وهايتي، تقدم كجه جي بانوراما واسعة للأجيال المختلفة من المهاجرين وصراعاتهم المتباينة مع الهوية والذاكرة والانتماء. وكما يشير الكاتب والناقد المغربي الكبير الداديسي أن الرواية "قد حددت هدفها في معالجة قضية الشتات العراقي الذي فرضته الحروب المتتالية على العراق، وجعلته طشار وهي مفردة شعبية تطلق في العراق على ما لا يمكن جمعه" (الداديسي، ٢٠١٧، ص٢٣١). ١إن اختيار بطلة مسيحية لم يكن مصادفة، بل هو اختيار رمزي بامتياز. فالمسيحيون في العراق، بوصفهم مكوناً أصيلاً وضارباً في جذور التاريخ، يمثلون رمزاً للتعددية الثقافية والدينية التي كانت سمة مميزة للمجتمع العراقي. ومعاناتهم وهجرتهم القسرية ترمز إلى تفكك النسيج الاجتماعي للوطن بأكمله، وفقدان تلك الفسيفساء التي كانت تشكل هويته الجامعة. وبهذا المعنى، تصبح حكاية عائلة وردية إسكندر حكاية مصغرة للعراق نفسه، الذي تبعثرت مكوناته وتشتت أبناؤه في كل أصقاع الأرض.تكمن القيمة الفنية للرواية في اعتمادها المكثف على الرمز كأداة لاستكشاف الموضوعات المعقدة. فالأحداث والشخصيات والأشياء لا تكتفي بوجودها المادي، بل تتحول إلى حامل لمعانٍ ودلالات أعمق. العراق في الرواية ليس مجرد جغرافيا، بل هو الوطن–الذاكرة، المكان الذي يُستدعى عبر الحواس: رائحة الطعام، نغمات الأغاني القديمة، دفء العلاقات الاجتماعية، وهو ما يجعله في حالة توتر دائم مع الوطن–الواقع الذي يعج بالعنف والانقسام والخراب. هذا الصراع بين عراق الذاكرة وعراق الواقع" هو المحرك الأساسي لمشاعر الحنين والاغتراب لدى الشخصيات.أحد أبرز الرموز التي تقدمها الرواية هو "المقبرة الإلكترونية" التي يبتكرها الحفيد "إسكندر" في باريس. هذا الفضاء الافتراضي الذي يجمع رفات العائلة المشتتة هو رمز قوي ومبتكر للتحديات التي تواجه الهوية في العصر الرقمي. ففي عالم استحال فيه اللقاء الجسدي، تصبح الذاكرة الرقمية هي الوسيلة الوحيدة للمّ الشمل. هذه المقبرة، كما يحللها نقاد، هي محاولة "لخلق وطن بديل"، وطن افتراضي لا يخضع لحدود الجغرافيا والسياسة، ولكنه في الوقت ذاته يكشف عن عمق المأساة، حيث أصبح الموت هو الرابط الوحيد الممكن بين أفراد العائلة.إلى جانب ذلك، تتكئ الرواية على شبكة من الرموز الثقافية والمادية الأخرى. الصور الفوتوغرافية والرسائل القديمة تعمل كأدوات لمقاومة النسيان، فهي تمثل الذاكرة المؤرشفة التي تحاول الشخصيات التشبث بها كدليل على وجود حياة أخرى ممكنة قبل "طشاري". كما تشكل الأغاني التراثية، وخاصة أغاني الفنانة سليمة مراد، رمزاً للحنين الجمعي، فهي ليست مجرد خلفية موسيقية، بل هي جسر عاطفي يعبر بالذاكرة إلى زمن الاستقرار والتعايش.يهدف هذا البحث إلى تفكيك هذه الشبكة الرمزية في رواية "طشاري"، وتحليل كيفية توظيف الكاتبة لهذه الرموز لبناء عوالمها السردية وطرح أسئلتها العميقة حول معنى الوطن، والذاكرة، والهوية في زمن الشتات. سيعتمد التحليل على فحص هذه الرموز ليس كعناصر منفصلة، بل كجزء من بنية متكاملة تساهم في تشكيل الدلالة الكلية للرواية، مما يجعل من "طشاري" عملاً أدبياً يستحق القراءة النقدية المعمقة لفهم أعمق للتجربة الإنسانية العراقية المعاصرة.

إشكالية البحث وأهميته:

تُعدّ الرواية العربية المعاصرة فضاءً خصبًا لتوظيف الرموز بأنواعها، بوصفها وسيلة فنية تعبّر عن التحولات السياسية والاجتماعية والنفسية بعمق إيحائي يتجاوز المباشرة. ومن هذا المنطلق، تطرح رواية طشاري للكاتبة إنعام كجه جي إشكالية جمالية وتعبيرية تتعلق بكيفية حضور الرمز وتحوّله إلى أداة لتمثيل الشتات، والانتماء، والهوية، والوطن المفقود. تكمن إشكالية هذا البحث في محاولة الكشف عن طبيعة الرموز المتنوعة في الرواية، ودلالاتها، وآليات توظيفها داخل البناء السردي، ومدى إسهامها في تشكيل المعنى العام للنص. وتنبع أهمية الدراسة من كونها تسلط الضوء على تجربة سردية عربية مميزة استخدمت الرمز بوصفه لغة موازية للغة الظاهرة، تعمّق فهم القارئ لتجربة المنفى والحنين من جهة، ولتحولات الواقع العراقي من جهة أخرى.

الدراسات السابقة:

( ) "الاغتراب الذاتي والهوية في رواية طشاري"، سروى صباح رجب، ٢٠٢٢، مقال نشر في مجلة ديالى للبحوث الإنسانية حيث تتبعت هذه الدراسة مظاهر الاغتراب الذاتي وأزمة الهوية، مركزة على التحليل النفسي والاجتماعي للشخصيات، فقد أبرزت تمزق الذات العراقية في ظل المنفى، ولكنها لم تتناول الوسائط الرمزية التي عبرت من خلالها الرواية عن هذه الحالة.

(٢) "ثنائية الحضور والغياب في رواية طشاري لإنعام كجه جي"، صفاء جمال داود، ٢٠٢٢، مقال نشر في مجلة زانكو للعلوم الإنسانية سلط الضوء على ثنائية الحضور والغياب في الرواية، من حيث غياب الوطن والأهل وحضور البدائل في إطار تحليل سردي بنيوي، ومع أن هذه المقاربة تسهم في إضاءة جانب من البنية الروائية، إلا أنها تظل مقيدة بثنائية محددة، بينما تتجه دراستنا إلى تأويل هذه الازدواجية بوصفها نتاجًا لرموز أعمق تتوزع على مستوى اللغة والصورة والوظيفة، وتسهم في تشكيل المعنى العام للنص.

(٣) "التناص في رواية انعام كجه جي (رواية طشاري)، حسن كودرزي، ٢٠٢٥، مقال نشر في مجلة الكلية الإسلامية الجامعة حيث تناول البحث كيفيات التداخل النصي بين طشاري ونصوص دينية وأدبية وشعبية موضحة دور التناص في تعميق المعنى وتوسيع الأفق الثقافي للنص، غير أن هذه الدراسة لم تلتفت إلى البنية الرمزية للنص من داخله، بل ركزت على العلاقات الخارجية بين النصوص.

(٤) "الديستوبيا في رواية طشاري لإنعام كجه جي دراسة تحليلية نقدية، ثمار كامل البيضاني، ٢٠٢٥، مقال نشر في مجلة كلية الإمام الأعظم وفيه يسعى الكاتب إلى كشف العوامل الإنسانية والاجتماعية التي تسهم في تنامي النزعة الديستوبية داخل المجتمع، وتتبع كيفية تجليها في البنية السردية لروايات إنعام كجه جي.

(٥) "القلق الوجودي في روايات إنعام كجه جي سواقي القلوب، الحفيدة الامريكية، طشاري، النبيذة" ٢٠٢١، هجران جاسم، زينب هادي، مقال نشر في مجلة العلوم الأساسية جامعة واسط ركزت الدراسة على تحليل البعد النفسي للشخصيات، وتتبعت تجليات القلق المتصلة بموضوعات افقد والهجر والخوف من المجهول، وأظهرت كيف أن هذا القلق يشكل محفزًا سرديًا مؤثرًا قي مسار الرواية.

الرمز لغة واصطلاحًا:

لغة: ذكر في لسان العرب لابن منضور أن الرمز "تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل: الرمزُ في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين" (ابن منظور، ١٩٩٩، ص٣١٢).٢، وجاء في معجم القاموس المحيط الرمز هو "الإشارة، أو الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان" (الفيروزابادي، ٢٠٠٨، ص٦٦٩).٣، وفي معجم العين للفراهيدي "والفعل رمز يرمز، أي ينضم. والرمز باللسان: الصوت الخفي. ويكون الرمز الإيماء بالحاجب بلا كلام، ومثله الهمس. ويقال للرجل الوقيد: ارتمز. وقد يقال للجارية الغمازة الهمازة بعينها، واللمازة بفهمها: رمازة، ترمز بفهمها، وتغمز بعينها. ويقال: الرمز: تحريك الشفتين" (الفراهيدي، ٢٠٠٣، ص١٤٩). ٤.

اصطلاحًا:الرَّمز هو لفظٌ موجز، قليل المبنى، غنيٌّ بالمعاني، يشير إليها إيماءً أو تلميحًا، لا تصريحًا. وبهذا المعنى، يمكن القول إن الرمز قد انتقل من دلالته الحسية في اللغة إلى مفهومه الاصطلاحي في الأدب. فالإشارة التي تُعدّ جوهر الرمز ترتبط بالإيجاز والتكثيف. والرمزية "اتجاه ظهر في الشعر في فرنسا وازدهر في الخمس عشرة الأخيرة من القرن التاسع عش، ويصور حياة الشاعر الداخلية ويجعل مما يرونه في العالم رمزًا للحالات النفسية" (عزت، ١٩٩٤، ص١٤٤). ٥، وإشار ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة لهذا المصطلح قائلاً "والاشارة من غرائب الشعر وملحه وبلاغةٌ عجيبة تدل على بعد المرمي وفرط المقدرة وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه" (القيرواني، ١٩٠٧، ص٢٠٦). ٦، كما أشار الجاحظ أيضًا إلى هذه المصطلح قائلاً: "الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط. ويعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض" (الجاحظ، ١٩٤٩، ص٧٨). ٧ أما الناقد محمد غنيمي هلال يرى أن الرمز "معناه الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية. والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية، لا عن طريق التسمية والتصريح" (غنيمي هلال، ٢٠٠٨، ص٣١٥). ٨.

المبحث الأول: رمزية العتبات النصية في رواية للاطشاري لله

أولًا: عتبة الغلاف

يُعد الغلاف أول نقطة تواصل بين القارئ والكتاب، فهو الإشارة البصرية الأولى التي تسهم في تشكيل الانطباع المبدئي لدى القارئ. كما يُمثّل أول تمظهر مادي للكتاب يحمل بصمة المؤلف، فيغدو الغلاف وسيطًا مرئيًا قد يدفع القارئ إلى إصدار حكم أولي على العمل، استنادًا إلى ما يقدّمه من رموز وعناصر تصميمية تشكّل مدخلًا تأويليًا للنص "فالغلاف ومكوناته يعد المدخل الأول لعملية القراءة، باعتبارات اللقاء البصري والذهني الأول مع الكتاب يتم بر هذه المكونات وما تحمله من دلالة مؤطرة للنص، سواء في سياق النوع الأدبي أم في سياق المؤسسة الأدبية" (السامرائي، ٢٠١٦، ص٤٣). ٩.يقدّم غلاف رواية طشاري تصميمًا بصريًا دالًا يتكامل مع عنوان الرواية، ويعزز من معاني التشتت والغربة. يحتل الغلاف صورة لامرأة ترتدي الأبيض، ذات ملامح عراقية تقليدية، وتبدو كأنها تنظر نحو المجهول أو الماضي، في وضعية تأمل وحنين، ما يوحي بأن الشخصية تمثل الطبيبة وردية بطلة الرواية، أو ربما كل امرأة عراقية عايشت الفقد والمنفى.

أ: الخلفية اللونية يغلب على الخلفية لون باهت متدرج بين الأصفر والبني، ما يوحي بالزمن الماضي والبلى، أو كأنها وثيقة قديمة أو ذكرى باهتة. هذا الانطباع البصري يُعزّز من شعور الاغتراب والزمن المنفلت الذي تعيشه الشخصيات.

ب: الخط الطباعي طُبع عنوان الرواية "طشاري" بخط عريض، وبلون أحمر يلفت الانتباه، ما يعطيه طابعًا تحذيريًا أو انفجاريًا، يتماشى مع معنى الكلمة التي ترمز إلى التبعثر والانقسام. اسم الكاتبة إنعام كجه جي كُتب بخط أنيق يليق بمكانتها الأدبية، مما يمنح الغلاف توازنًا بين الدلالي والبصري.

ج: العنصر الثقافي حضور المرأة على الغلاف، إلى جانب اختيار الألوان والعنوان، يُبرز الهوية الثقافية للنص، بوصفه رواية عن العراق، وعن الوجع النسوي، والشتات العائلي، في ظل التحولات السياسية.الغلاف إذًا لا يقتصر على كونه واجهة فنية، بل يعمل كنافذة دلالية تنقلنا إلى الأجواء النفسية والزمانية التي تنسجها الرواية، ليكون بحق عتبةً نصيّةً محملةً بالرموز والدلالات الموازية للمتن السردي.

ثانيًا: عتبة العنوان

أ: العنوان الرئيسي العنوان من العناصر المهمة في النص الأدبي وله علاقة خاصة معه "علاقة فاعلية تتكئ على منطق الضبط، تلك العلاقة إنما نكتشفها من الترابط" (الأسدي، ٢٠٠٩، ص١٥٤). ١٠، يحمل العنوان الرئيس "طشاري" شحنة دلالية مكثفة مستمدة من عمق اللغة والثقافة الشعبية العراقية، إذ يشير إلى نوع من الرصاص ينطلق في اتجاهات متعددة عند إطلاقه، بحيث تتبعثر شظاياه في كل صوب. هذا التوصيف المجازي يشكّل مدخلًا تأويليًا أساسيًا لفهم الثيمة المركزية في الرواية، وهي تشتت العائلة العراقية في المنافي وتبعثر الهوية والانتماء. اختارت إنعام كجه جي هذا العنوان لتكثيف صورة الوطن الممزق، حيث لم يعد العراق وطنًا جامعًا، بل خارطة شظايا موزعة بين بقاع العالم. فكل شخصية في الرواية، بدءًا من الطبيبة وردية، تمثل "شظية" من هذا الطشاري، في تجسيد سردي عميق للفقد القسري والانشطار الجغرافي والنفسي. العنوان لا يُقدّم معنى ظاهرًا فحسب، بل يحمل دلالات رمزية وثقافية تدفع القارئ إلى التأمل منذ اللحظة الأولى، مما يجعله عتبة مركزية تضيء المتن الروائي وتفتح أفقًا واسعًا للتأويل.

ب: العناوين الداخلية تلعب العناوين الداخلية في رواية طشاري دورًا مهمًا في هيكلة النص وتوجيه القارئ خلال المحطات السردية المختلفة، حيث تتوزع كعلامات تنظيمية ودلالية تعكس التحولات في حياة الشخصيات، خاصة الطبيبة وردية. تأتي هذه العناوين لتقسّم الرواية إلى فصول تحمل أحيانًا أسماء أماكن، وأحيانًا دلالات شعورية أو تاريخية، بما يعكس المزاج العام للمشهد السردي. فهي تشير إلى التنقل المكاني بين بغداد، البصرة، عمان، باريس، وكندا وغيرها، كما تواكب التحولات الزمنية من الماضي المستقر نسبيًا إلى الحاضر الممزق. تستخدم الكاتبة هذه العناوين الداخلية كأدوات لبناء فسيفساء الشتات العراقي، حيث كل فصل هو جزء من خارطة الانقسام والضياع والانتماء المؤجل. إن هذه العناوين لا تعمل فقط كفواصل بنيوية، بل تحمل بعدًا رمزيًا يُعمّق الإحساس بالغربة والانقسام، ويؤكد على أن الطشاري ليس مجرد حدث، بل حالة وجودية مستمرة في حياة كل فرد من أفراد الرواية.

المبحث الثاني: تمثلات الرمز في رواية للطشاري لله

أولاً: الرمز الديني

يتجلّى الرمز الديني بوصفه أحد أكثر الرموز حضورًا في الرواية، ما يعكس تشبّع الكاتبة بالثقافة الإسلامية، من خلال توظيفها لشخصيات أنبياء وقصصهم بشكل مقتضب، فضلًا عن عنوان الرواية ذاته الذي يحمل إيحاءً إيمانيًا ينساب بين صفحات النص.فها هي الدكتورة وردية، في غربتها الباريسية، تستدعي رموزها الدينية كملاذ أخير، حيث يصف السرد لجوءها إلى الصلاة في لحظات اليأس: "تقوم الصبح وتشعل شمعة أمام صورة العذراء وتمضي إلى الباب المعظم وبوزها شبر" (الرواية، ص ٧٨) ١١. هذه الطقوس اليومية البسيطة ليست مجرد عبادة، بل هي رمز للتشبث

بآخر خيوط الأمل، ومحاولة لاستحضار الأمان المفقود الذي كان يوفره الإيمان في الوطن. إن صورة العذراء هنا هي رمز الأمومة الكونية الحانية، التي تلجأ إليها وردية بعد أن تشتت أبناؤها في أصقاع الأرض، وهي بذلك تمثل قيمة الأمومة المقدسة التي تتجاوز البعد الجسدي إلى البعد الروحي.وفي نص آخر يتجلى الرمز الديني بوضوح في موقف وردية من زيارة البابا يوحنا بولس الثاني، التي لم تكتمل إلى مدينة أور، مسقط رأس إبراهيم الخليل. يصف السرد خيبة أملها العميقة: "لم تغفر له أنه وصل إلى أبواب العراق ثم أدار كعبه وعاد من حيث جاء وتركهم لمحنتهم" (الرواية، ص١٤) ١٢. هنا، يتحول البابا من رمز ديني أعلى إلى رمز للخذلان، ويصبح تراجعه عن الزيارة استعارة كبرى لخذلان العالم كله للعراقيين في محنتهم. هذا الموقف يربط بين الإيمان الشخصي والمأساة الوطنية، ويقدم الإيمان ليس كعقيدة مجردة، بل كقيمة إنسانية وأخلاقية تتمثل في المواساة والمشاركة في الألم.وتقدم الكاتبة رمزاً آخر للتسامح الديني الذي كان سائداً، من خلال شخصية الأخ الأكبر سليمان، الذي بالرغم من كونه مسيحياً، يفوز بجائزة لتفوقه في اللغة العربية، فيرفض كل الجوائز ويصر على أخذ نسخة من القرآن الكريم: "لن أقبل بغير المصحف" (الرواية، ص ٦٥).١٣ هذا الموقف الرمزي لا يعبر عن شخصية سليمان فقط، بل يرمز إلى عراق التعايش والتعددية، حيث لم تكن الحدود الدينية والطائفية حواجز تمنع الانفتاح على ثقافة الآخر واحترام مقدساته، وهو ما يمثل قيمة التسامح وقبول الآخر التي دعت إليها جميع الرسالات السماوية.ويتجلى الرمز الديني في رواية "طشاري" بشكل لافت في استحضار شخصيات ورموز من وجدان أهل البيت (عليهم السلام)، ليس كجزء من عقيدة طائفة محددة، بل كرمز ثقافي وإنساني جامع يمثل قيم التضحية والنخوة والملاذ عند الشدائد. ففي سياق بحث الدكتورة وردية عن وسيلة لتأمين قبول الأهالي لعيادتها الجديدة في الديوانية، وهي الطبيبة المسيحية القادمة من بغداد، تلجأ إلى "العلوية شذرة"، التي تستمد مكانتها وقوتها من نسبها لآل الرسول. هذا اللجوء بحد ذاته هو رمز للاعتراف بسلطة روحية تتجاوز الدين الرسمي، وتستقر في قلب المجتمع.

وتقدم الكاتبة هذا الرمز بوضوح حين تصف كيف تستنجد النساء الحوامل بأسماء مقدسة عند المخاض، فيقول السرد على لسان إحداهن: "إيدي على يدك يا الحسين يا سيد الشهداء... دختورة سويلي جارة..." (الرواية، ص ٤٧).١٤ هذا الاستنجاد بالإمام الحسين (عليه السلام) في لحظة ألم وولادة، وهي من أشد اللحظات الإنسانية، يحوّل الشخصية من رمز تاريخي إلى رمز حي للحماية والإغاثة.)، حيث يصبح اللجوء إلى الرمز المقدس هو السبيل لكشف الضر وطلب النجاة.كما يظهر رمز آخر في حوار الدكتورة وردية مع "العلوية شذرة" حول سر الشاي الذي تقدمه، فتجيب العلوية ضاحكة: "إنه شاي العباس يا دختورة" (الرواية، ص ٧٣).١٥ هنا، يتحول "شاي العباس" من مجرد مشروب إلى رمز للكرم والنخوة والبركة. فالعباس بن علي (عليه السلام) يمثل في الوجدان الشعبي العراقي رمزاً للوفاء وإغاثة الملهوف وحماية المستجير به. وبنسبة الشاي إليه، تضفي عليه "العلوية" قيمة روحية ومعنوية، وتجعله وسيلة لكسب الثقة وطمأنة قلب الطبيبة الغريبة. هذا المشهد يرمز إلى كيف تتداخل الطقوس الاجتماعية مع الرموز الدينية لتخلق حالة من الألفة والتآخي، وتؤكد على قيم الكرم وحسن الجوار التي حثت عليها جميع الشرائع السماوية.

بهذه الطريقة، توظف إنعام كجه جي الرموز المرتبطة بأهل البيت لترسيخ فكرة التعايش الاجتماعي، حيث لا تكون هذه الرموز حكراً على طائفة، بل جزءاً من ثقافة شعبية جامعة يلجأ إليها الجميع طلباً للأمان والبركة والمواساة.

ثانيًا: الرموز الطبيعية لقد تعددت الرموز الطبيعية في رواية "طشاري"، مما يضعنا أمام قناعة مفادها أن الروائية إنعام كجه جي لجأت إلى الاستعانة برموز كثيرة من الطبيعة، بحكم تنوع عناصرها ومكوناتها من ماء ونبات وحيوان، وغيرها من المكونات التي تنضوي ضمنها وتصطبغ بصبغتها، مانحةً النص الروائي آفاقاً دلالية تخرج به عن حدود المألوف والعادي، لتجعله كثيف الإيحاء كوني المقاصد. فقد استثمرتها الروائية لتعلق عليها آلام شخصياتها وآمالهم، بما تتيحه اللغة الرمزية من إيحاءات وإشارات وإيماءات. ومن بين أبرز الرموز الطبيعية التي وظفتها الكاتبة نجد ما يلي:

١: النخلة تظهر النخلة كرمز طبيعي مركزي في الرواية، لا بوصفها مجرد شجرة، بل باعتبارها رمزاً للعراق نفسه وللجذور والأصالة. إنها تمثل الشموخ والصبر والارتباط العميق بالأرض. فعندما تستحضر الشخصيات صورة العراق، غالباً ما تكون النخلة حاضرة في الخلفية كشاهد على التاريخ والانتماء. يصف السرد في أحد المقاطع العراق بأنه أرض "مأهولة بمليون نخلة طافحة بذهب أسود" (الرواية، ص ١٨). ١٦ هذا الوصف لا يقدم صورة جغرافية فحسب، بل يحمل دلالة رمزية عميقة، فالنخلة هنا هي رمز الثروة والخير الذي كان عليه الوطن قبل أن يطاله الخراب. وفي سياق الشتات، يصبح غياب النخلة في بلاد المنافي رمزاً للاقتلاع من الجذور، ويتحول الحنين إليها إلى حنين للوطن بأكمله، مما يجعلها رمزاً قوياً للأصل الذي لا يمكن تعويضه.

٢: الأنهار (دجلة فرات)تمثل الأنهار، وخصوصاً دجلة والفرات، رمزاً للحياة، والخصوبة، واستمرارية التاريخ. إنها ليست مجرد مسطحات مائية، بل هي شرايين الوطن التي تجري في ذاكرة الشخصيات. فعندما تصف وردية قلبها المشتت، تستخدم صورة رمزية قوية: "أما القلب، فقد أخذ الجزار

سكينه الرفيعة الحادة... وحزّ بها القلب رافعًا إياه، باحتراس، من متكئه بين دجلة والفرات ودحرجه تحت برج إيفل" (الرواية، ص ١٧). ١٧ هنا، يصبح القلب المقتلع من بين النهرين رمزاً للاقتلاع من الوطن نفسه. إن وجود النهرين كرمز للحياة والأصل يجعل من ابتعاد الشخصيات عنهما موتاً رمزياً. وفي المنافي الباردة، يصبح الحنين إلى ضفاف دجلة والفرات حنيناً إلى دفء الحياة ذاتها، وإلى زمن كانت فيه الأمور تجري بسلاسة وطبيعية كماء النهر.ويظهر الرمز بوضوح في وصف الكاتبة لمدينة "أور الكلدانيين" التاريخية، حيث تقدمها كرمز للأصل والجذور التي تمتد عميقاً في التاريخ، فتقول إنها: "حاضرة بيضاوية تقع على مصب الفرات، حيث تدفن الجواري بملابسهن وحليهن مع مليكهن" (الرواية، ص ٣٦). ١٨ هنا، لا يُذكر الفرات كعنصر جغرافي محايد، بل كجزء لا يتجزأ من طقوس الحياة والموت، ورمز للاستمرارية التاريخية والحضارية. إنه النهر الذي شهد ولادة الحضارات ودفن الملوك، مما يمنحه بعداً رمزياً مقدساً، ويجعل الابتعاد عنه ابتعاداً عن التاريخ نفسه.

٣: طير اليبابيد (طائر أسطوري)العراقي كرمز للقدر المأساوي وللتشتت القسري. "اليباديد" هو طائر الشؤم الذي، بحسب الأسطورة، يحلّق فوق البيوت ليفرق أهلها ويبعثرهم. تستخدمه الكاتبة كاستعارة قوية لتفسير ما حل بالعراقيين، فتقول: "تقهقه وترسل طير اليبابيد ليحلق فوق رؤوسهم. مَنْ يعرف طير اليبابيد المنفلت من كتب الأساطير، ذاك الذي يحوم فوق أسطح البيوت الآمنة فيبعثر الأحبة ويفرقهم في البلاد" (الرواية، ص ١٨). ١٩. أن هذا الرمز يحوّل المأساة السياسية إلى قدر أسطوري، مما يضفي عليها بعداً تراجيدياً عميقاً. لم يعد الشتات مجرد قرار بالهجرة، بل أصبح لعنة حلت على يد هذا الطائر الأسطوري، مما يجعله رمزاً للقوى الخفية القاهرة التي مزقت العائلات وشتت شملها.

٤: الشمس (رمز الدفء والقسوة)يبرز رمز الشمس في رواية "طشاري" كعنصر طبيعي مزدوج الدلالة، فهو ليس مجرد مصدر للضوء والدفء، بل هو رمز للوطن بقسوته وحنانه في آن واحد. تتغير دلالة الشمس بشكل كبير بين العراق وبلاد المنافي، مما يجعلها مقياساً رمزياً للشعور بالاغتراب والانتماء.في العراق، ترتبط الشمس بالحرارة المفرطة التي قد تكون قاسية، لكنها في الوقت نفسه جزء من الهوية والذاكرة الأصيلة. هذا التناقض يظهر بوضوح في وصف الكاتبة لشمس بغداد، فتقول على لسان الراوية عند وصول عمتها إلى باريس: "شمس لطيفة ومهذبة، على شيء من التقتير ولا تقارن بنار آب اللهاب في بغداد" (الرواية، ص ٢٤). ٢٠ هنا، نار آب اللهاب ليست مجرد وصف للطقس، بل هي رمز للحياة العراقية بكل تناقضاتها: حياة حارة، قاسية، لكنها حقيقية ونابضة بالحياة. إنها الشمس التي تعرفها الشخصيات وتألفها، وشكوى الشخصيات منها هي جزء من علاقتهم العضوية بالوطن.في المقابل، تتحول الشمس في المنفى إلى رمز للبرودة والافتقاد. فشمس باريس "لطيفة ومهذبة" لكنها تفتقر إلى القوة والحياة، إنها شمس "على شيء من التقتير"، أي أنها شمس بخيلة لا تمنح الدفء الكامل. هذا الوصف يجعل من شمس المنفى رمزاً للحياة المنقوصة والمشاعر الباهتة التي تعيشها الشخصيات. إنها شمس غريبة لا تنتمي إليها، والحنين إلى "نار آب اللهاب" يصبح حنيناً إلى الوطن بكل ما فيه، حتى قسوته.بهذه الطريقة، تستخدم إنعام كجه جي رمز الشمس لتعميق الإحساس بالغربة. فالشخصيات لا تحن فقط إلى الجوانب الجميلة في وطنها، بل تحن إلى طبيعته القاسية التي شكلت جزءاً من تكوينها، مما يجعل من رمز الشمس أداة فنية قوية للتعبير عن عمق الارتباط بالأرض وتعقيد الشعور بالحنين.

ثالثًا: الرموز التاريخية ودلالاتها في الرواية حظيت الرموز التاريخية بحظ وافر من التوظيف في رواية "طشاري" من بدايتها إلى نهايتها، حيث استطاعت الكاتبة أن تدمج شخصيات وأحداثاً تاريخية في قالب فني جذاب، سبيلها في ذلك لغة مكثفة مشحونة دلالياً. فالرواية لا تسرد حكاية عائلة معزولة عن سياقها، بل تجعل من مصيرها مرآة للتحولات الكبرى التي عصفت بتاريخ العراق الحديث، مستثمرةً رموزاً تاريخية محددة لتكثيف المعنى وربط الخاص بالعام.

١: شخصية نوري سعيد يبرز اسم "نوري السعيد"، رئيس وزراء العراق في العهد الملكي، كرمز تاريخي مهم في الرواية، لا كشخصية فاعلة، بل كرمز لعصر مضى بكل ما يحمله من دلالات الاستقرار والنظام والهيبة المفقودة. تستدعي الدكتورة وردية صورته في ذاكرتها وهي في قصر الإليزيه، فتقول: "وكانت تعرف تلك الصورة الشهيرة لنوري السعيد وهو يرتدي البدلة الرسمية السوداء، أم الذيل، وتحتها قميص ناصع معقوف الياقة وربطة من الساتان الأبيض عند العنق" (الرواية، ص ١٢). ٢١ هذا الاستدعاء الدقيق لتفاصيل صورته الايقونية ليس مجرد حنين عابر، بل هو رمز للعراق الملكي، العراق الذي كان له حضور دولي ونظام بروتوكولي صارم. إن صورة نوري السعيد هنا هي النقيض التام للفوضى والخراب الذي آل إليه العراق لاحقاً، وهي تمثل رمزاً للدولة المدنية والنظام الذي انهار، وبانهياره بدأت حكاية "طشاري" وتشتت العراقيين.

٢: ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تُذكر الثورة التي أنهت العهد الملكي في العراق كحدث تاريخي محوري ورمز للانقلاب الذي غيّر مصير البلاد وشخصيات الرواية إلى الأبد. لا تقدمها الكاتبة كحدث سياسي مجرد، بل كذكرى شخصية مرتبطة ببداية وعي الدكتورة وردية بالفوضى والخوف. يصف السرد كيف عاشت وردية أصداء الثورة: "أما هي فخافت من الفوضى وارتعدت من مجزرة القصر الملكي وحلبات الجنون وسحل الجثث.

أصابها الوجوم وهي ترى الجميع يتبادلون القبلات والتهاني أمام المستشفى وفي ممراته" (الرواية، ص ١٠١). ٢٢ إن هذا الحدث التاريخي يصبح رمزاً لنقطة الانكسار الأولى في تاريخ العراق الحديث، واللحظة التي بدأ فيها عنف السياسة يطغى على حياة الناس. إنه يمثل رمز نهاية زمن البراءة وبداية عصر الانقلابات والدم، وهو التاريخ الذي سيظل يطارد ذاكرة وردية ويشكل خلفية مأساوية لكل ما سيأتي بعده من حروب وشتات.

٣: أور الكلدانيين يتم استحضار مدينة "أور" التاريخية كرمز للجذور العميقة والأصل الحضاري الأول الذي يجمع العراقيين بكل أطيافهم. فعندما تتحدث وردية عن رحلة البابا التي لم تكتمل، لا تتحدث عن مجرد مدينة، بل عن رمز تاريخي مقدس. يصف السرد مكانة أور قائلاً: "كان اسمها، في التاريخ أور الكلدانيين. المدينة المقدسة لنانا آلهة القمر. حاضرة بيضاوية تقع على مصب الفرات" (الرواية، ص ٣٦). ٢٣ إن ذكر "أور" بهذا السياق التاريخي والديني يجعلها رمزاً للتاريخ المشترك والهوية الجامعة التي تتجاوز الانقسامات الحديثة. ويصبح تراجع البابا عن زيارتها رمزاً لانقطاع العالم عن هذا التاريخ، وعزلة العراق عن جذوره وعن العالم في آن واحد. "أور" هنا هي رمز الأصل المنسي الذي يحاول الجميع، حتى البابا، الوصول إليه لكنهم يفشلون، مما يعمق الشعور بالخذلان والفقدان.

٤: صورة المطران المخطوف في مشهد وصول اللاجئين إلى مطار باريس، يبرز رمز تاريخي معاصر ومؤلم، وهو صورة المطران المخطوف. يقول السرد: "وفوق إحدى العربات لمحت صورة كبيرة مؤطرة لمطران الموصل الذي كان مجهولون قد خطفوه وذبحوه قبل فترة وجيزة. رجال ينحرون وتبقى صورهم في البراويز" (الرواية، ص ٢٥). ٢٤ هذه الصورة ليست مجرد ذكرى شخصية، بل هي رمز للاضطهاد الذي طال المكونات الأصيلة في العراق، وخصوصاً المسيحيين. إنها تمثل الشهادة الحية على العنف الطائفي الذي فكك النسيج الاجتماعي وأجبر الآلاف على الهجرة. صورة المطران المحمولة في المنافي تصبح رمزاً للجرح المفتوح والعدالة الغائبة، وتتحول من صورة شخصية إلى أيقونة جماعية تمثل معاناة طائفة بأكملها، وتلخص أسباب "طشاري" في أقسى صورها.

٥: شارع الرشيد (رمز الحداثة المفقودة والذاكرة المدنية)يظهر "شارع الرشيد" في رواية "طشاري" كرمز تاريخي بارز، لا بوصفه مجرد طريق في بغداد، بل باعتباره رمزاً للحداثة المدنية والتنوع الثقافي الذي كان يميز العاصمة العراقية في أوج ازدهارها. إنه يمثل الذاكرة الحية لبغداد، المدينة التي كانت تتسع للجميع، والتي فقدت بريقها مع توالي الأزمات والحروب.تستحضر الكاتبة هذا الرمز في سياق المظاهرات الوطنية التي شاركت فيها الدكتورة وردية في شبابها، حيث كان الشارع هو المسرح الرئيسي للحياة العامة والسياسية. تصف الكاتبة تلك الفترة قائلة: "هي التي كانت تتحدث باسم الطالبات، في المدرسة الثانوية، وتقود المظاهرات التي تنزل إلى شارع الرشيد ضد الإنكليز ومعاهدة بورتسموث" (الرواية، ص ٨١). ٢٥، هنا، لا يُذكر شارع الرشيد كمكان محايد، بل كفضاء عام يرمز إلى الحياة السياسية النشطة والوعي الوطني المبكر. إنه يمثل رمز "العراق المدني" الذي كان أهله، بكل أطيافهم، ينزلون إلى الشارع للتعبير عن رأيهم والمطالبة بحقوقهم. هذا الشارع، بمبانيه التاريخية ومقاهيه الثقافية ومحلاته التجارية، هو النقيض التام للشوارع المقفرة والمقسمة على أسس طائفية التي ظهرت لاحقاً.

المبحث الرابع: الرموز الافتراضية والاصطناعية

لا تكتفي إنعام كجه جي في رواية "طشاري" بالاعتماد على الرموز التقليدية المادية، بل تتجاوزها لتبتكر فضاءً رمزياً جديداً يعكس طبيعة العصر الحديث، وهو فضاء الرموز الافتراضية والاصطناعية. هذا المبحث يحلل كيف أصبحت التكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة رموزاً دالة على محاولات يائسة للمّ الشمل، وفي الوقت ذاته، شاهداً على عمق الانقطاع والمسافة بين أفراد العائلة المشتتة.

أولًا: المقبرة الإليكترونية يُعد هذا الرمز هو الابتكار الأبرز والأكثر عمقاً في الرواية. فالمقبرة التي يصممها الحفيد إسكندر على الإنترنت ليست مجرد مشروع تكنولوجي، بل هي رمز لمحاولة خلق وطن بديل يجمع رفات العائلة التي استحال جمعها على أرض الواقع. يصف السرد كيف يعرض إسكندر على عمته هذا العالم الافتراضي: "شوفي عمة. مقبرة إلكترونية يمكنك أن تنامي فيها بجوار من تحبين" (الرواية، ص ١٠٩). ٢٦، هذه المقبرة تصبح رمزاً للذاكرة الرقمية التي تحل محل الذاكرة الحقيقية، وهي شاهد على أن اللقاء الوحيد الممكن بين أفراد هذه العائلة لم يعد ممكناً إلا بعد الموت، وفي فضاء افتراضي. إنها رمز مؤلم للاستسلام للشتات، حيث يتم التخلي عن أمل العودة إلى أرض الوطن لدفن الموتى، ويتم القبول بقبر رقمي كحل أخير، مما يجعلها أقوى استعارة عن مأساة "طشاري" في العصر الحديث.

ثانيًا: الهاتف والكومبيوتر يمثل الهاتف ووسائل الاتصال الحديثة (مثل الإنترنت) رمزاً مزدوج الدلالة في الرواية. فمن ناحية، هو رمز للأمل والصلة الوحيدة المتبقية بين الشخصيات الموزعة في قارات مختلفة. إنه الخيط الرفيع الذي يربط وردية في باريس بابنتها هنده في كندا وابنها الآخر في هايتي. ومن ناحية أخرى، هو رمز لهشاشة هذا الوصل وعمْق الانقطاع الحقيقي. تصف الكاتبة هذا التناقض ببراعة في رسالة هنده إلى أمها: "ماذا تفيد الفرجة بدون لمس وأحضان ولثم وشم؟ مع هذا أشكر نعمة الهاتف وأعيش مع الصور التي حملتها معي من هناك" (الرواية، ص ٥٤).

٢٧ هنا، يصبح الهاتف رمزاً للتواصل المنقوص، فهو ينقل الصوت والصورة، لكنه يعجز عن نقل الدفء الإنساني الحقيقي المتمثل في اللمس والحضن. إنه رمز للغربة، حيث تصبح العلاقة مع الأهل مجرد "فرجة" عبر شاشة، مما يعمق الشعور بالمسافة والفقدان بدلاً من أن يقلصه.

ثالثًا: جواز السفر يتحول جواز السفر في الرواية من مجرد وثيقة رسمية إلى رمز معقد للهوية المصطنعة والمواطنة المنقوصة. إنه الرمز الذي يفصل بين ابن الوطن واللاجئ. بالنسبة لوردية، جواز سفرها العراقي القديم هو رمز لانتمائها الأصيل، بينما جوازات السفر الأجنبية التي يسعى إليها الجميع هي رمز للنجاة، ولكنها في الوقت نفسه رمز للتخلي عن الهوية الأولى. يظهر هذا الصراع في حوار الراوية مع عمتها حول جواز سفرها: "أفقد بصري ولا أفقده، هذا الجواز الذي كان هويتي الوحيدة في هذا البلد ودليل وجودي" (الرواية، ص ٦٦).٢٨، إن جواز السفر هنا هو رمز للانقسام الذي يعيشه المهاجر، فهو يمنحه حرية الحركة والأمان، لكنه يسلبه جزءاً من روحه وتاريخه. إنه رمز للهوية المصطنعة التي تفرضها ظروف السياسة واللجوء، والتي تظل دائماً في صراع مع الهوية الأصيلة التي تحملها الذاكرة والروح.

خاتمة:

في ختام هذا التحليل، يتضح أن رواية "طشاري" قد بنت عالمها السردي على شبكة متكاملة من الرموز التي تجلت في مختلف مستويات النص؛ الدينية والطبيعية والتاريخية. فمن خلال هذه الرموز، نجحت إنعام كجه جي في تجاوز السرد الحكائي المباشر لتقدم رؤية فنية عميقة لمأساة الشتات العراقي، حيث أصبح العنوان رمزاً للتبعثر، والمكان صراعاً بين الذاكرة والواقع، والمقبرة الإلكترونية تجسيداً لمحاولة لمّ الشمل المستحيلة. وبذلك، لا تقدم الرواية مجرد حكاية عائلة، بل تقدم شهادة رمزية خالدة عن معنى الوطن والهوية والذاكرة في زمن الفقدان، مؤكدةً على قدرة الأدب على التقاط جوهر التجربة الإنسانية في أشد لحظاتها تعقيداً.

المصادر والمراجع:

( ) الأسدي، ناصر. شاكر. (٢٠٠٩). التحليل السيميائي الخطاب: قراءة في حكايات كليلة ودمنة لابن المقفع (الطبعة الأولى). دار السياب.

(٢) الجاحظ. (١٩٤٩). البيان والتبيين (ج. ١، تحقيق: عبد السلام هارون).

(٣) الداديسي، الك. (٢٠١٧). أزمة الجنس في الرواية العربية: بنون النسوة. مؤسسة الرحاب للنشر.

(٤) السامرائي، س. (٢٠١٦). العتبات النصية في رواية الأجيال العربية (الطبعة الأولى). دار غيداء.

(٥) الفراهيدي. (٢٠٠٣). معجم العين (ج. ٢، تحقيق: عبد الحميد هنداوي). دار الكتب العلمية.

(٦) الفيروزآبادي. (٢٠٠٨). القاموس المحيط (مراجعة: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد). دار حديث.

(٧) القيرواني. (١٩٠٧). العمدة في صناعة الشعر ونقده (ج. ١، الطبعة الأولى).

(٨) كجه جي، إنعام. (٢٠١٣). طشاري. دار الجديد.

(٩) هلال، م. غ. (٢٠٠٨). الأدب المقارن (الطبعة التاسعة). دار نهضة مصر.

(١٠) ابن منظور. (١٩٩٩). لسان العرب (ج. ٥، مادة "رمز"، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي). دار إحياء التراث العربي.

(١١) عزت، علية. (١٩٩٤). معجم المصطلحات اللغوية والأدبية. المكتبة الأكاديمية.